ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

تحرير إدلب على ضوء قمة سوتشي وخطاب الرئيس الأسد

د. أمين محمد حطيط

قبل أن تنعقد في سوتشي القمة الثلاثية بين روسيا وإيران وتركيا، تعدّدت اتجاهات التوقعات منها وتضاربت المواقف حول ما يمكن ان تعتمده القمة من قرارات تعني سورية عامة ومصير ما تبقى من حالات إرهابية فيها ووضع إدلب بشكل خاص.

فمن جهة ذهب البعض للقول او لانتظار قرار من سوتشي يغطي ويدعم عملية عسكرية سورية لاستعادة إدلب ومنطقتها واجتثاث الإرهاب منها، وهو فعل لا يمكن للأمور أن تستقيم في سورية بدونه، ومن جهة أخرى رأى البعض أنّ محاذير العمل العسكري كبيرة وكلفته عالية على أكثر من صعيد عسكري ميداني أو استراتيجي أو سياسي أو اجتماعي إنساني. وبين هذين الحدّين كانت مواقف أخرى تقترب من مسألة العمل العسكري أو تبتعد عنه كلّ بحسب الخلفية التي ينطلق منها.

أما قمة سوتشي فقد قاربت الأمر دون ان تعتمد أيّ من الحدّين وذلك انطلاقاً مما يملك المشاركون من معطيات ويتمسكون به من مواقف ويرونه من مصالح فجاءت القرارات او لنقل التفاهمات فيها وسطية تتسم بالهدوء الحذر الذي يحاكي واقعية ميدانية قائمة وبشكل يبتغي منه المعنيون في القمة سدّ باب الذرائع أمام أطراف آخرين من خصوم الدولة السورية وأعدائها، فاتجهت القمة لاعتماد استراتيجية «الخطوة خطوة لتحرير إدلب»، بحيث يكون فيه التنفيذ المستقبلي بصيغة وأسلوب وشركاء حدّدوا بشكل مغاير لما كانت عليه الأمور في منظومة خفض التصعيد او اتفاق سوتشي الثنائي بين بوتين وأردوغان.

فالصيغة الجديدة كما يبدو مما تسرّب أو أعلن عنها تنطلق أولاً من الإقرار بـ «تعثر تنفيذ اتفاق أيلول/ سبتمبر بين موسكو وأنقرة حول إدلب، بل وشهد الوضع هناك تدهوراً ملحوظاً بعد بسط جبهة النصرة الإرهابية سيطرتها على نحو ٩٠ من أراضي المنطقة»، على حدّ قول لافروف الذي أكد أيضاً بأنّ القمة أكدت الحاجة إلى عمل عسكري مشترك تنفذه القوات الروسية مع القوات التركية بشكل يراعي:

أولاً: حماية المدنيين والعمل وفقاً لقواعد القانون الدولي الإنساني ومنع ارتكاب ما ارتكبه التحالف الأميركي الدولي من مجازر بحقهم خاصة في الرقة التي بدأت فضائحها تزكم الأنوف لا سيما بعد أن نشر الضابط الفرنسي مقالاً حولها عرّضه لعقوبة من قيادة جيشه.

ثانياً: اجتثاث الإرهاب كلياً من إدلب حيث «لا يمكن الصبر إلى ما لا نهاية على وجود الإرهابيين في إدلب» كما قال لافروف أيضاً.

ثالثاً: احترام السيادة ووحدة الأراضي السورية والمحافظة عليها ومنع تشكل أيّ حالة أو ظاهرة انفصالية أو محاولة قضم لأيّ جزء من هذه الأراضي.

أما التنفيذ الميداني فإنه سينطلق من مفهوم منظومة أستانة وما اعتمدته من مناطق خفض التصعيد، ويأخذ بالاعتبار الواقع المستجدّ بعد سيطرة جبهة النصرة على إدلب، كما انه يعتمد سياسة المراحل المتتابعة المنسّقة ذات الأطراف المتعدّدة والتي ستكون في مرحلة أولى روسية – تركية، ثم تكون في مرحلة ثانية سورية روسية وتكون القوات الروسية العاملة على الأرض هي الجسر التي يتمّ عبره الانتقال من المرحلة الأولى الى المرحلة الثانية، وبعدها تكون المرحلة الثالثة والأخيرة حيث تنحصر المهام الميدانية التنفيذية بالقوات السورية وتكون القوات الروسية في موقع الاحتياط.

وستمرّ المرحلة الأولى في خطوات متتابعة تبدأ بتحديد مناطق خفض التصعيد على الخرائط، يليها التعيين والتنفيذ على الأرض، وبعدها يتمّ تسيير دوريات روسية تركية مشتركة لفرض مقتضيات هذه المناطق، ثم تنتهي بمعالجة الحالات الخارجة على نظام قواعد خفض التصعيد. بما في ذلك وجود الأسلحة الثقيلة.

من يدقق في هذه الخطة التي اعتمدت

في سوتشي مؤخراً يقف على وجوه الوهن الكثيرة والعميقة فيها ما يجعل من الثقة بنجاحها أمراً منخفض السقف، خاصة في وجود أردوغان الذي لا يمكن ان يكون محلّ ثقة فهو محترف في الانقلاب على التفاهمات والاتفاقات وفي عرقلة تنفيذها ويعمل ظاهراً وفقاً لما يعقد من تفاهمات مع روسيا وإيران، أما باطناً فينفذ مشروعه الخاص الذي يتقاطع بشكل أو بآخر أو يتطابق الى حدّ بعيد مع الاستراتيجية الأميركية الرامية الى إطالة أمد الصراع ومنع سورية من العودة الى وضعها الطبيعي، ومن هنا تأتي الأهمية الفائقة لكلام الرئيس بشار الأسد خلال استقباله لممثلي الإدارة المحلية السورية ونظرته الى أردوغان وموقفه من مسألة التحرير.

فالرئيس الأسد أكد بوضوح قاطع بأنّ أردوغان «أجير أميركي» يعمل وفقاً للأوامر الأميركية، وأنه كان ولا زال يعمل ضدّ مصلحة سورية وانّ هذا «الاخواني» على حدّ تعبير الرئيس الأسد لن يكون محلّ للثقة في أيّ عمل يقوم به إذ انه لا يعدو كونه أداة بيد أميركا تستعملها ضدّ سورية. وهنا سترسم علامات الاستفهام الكبرى حول «التناقض» بين مواقف إيران وروسيا من تركيا، وموقف سورية منها وكيف يمكن أن نوفق بينهما؟

اننا نرى انّ ظروفاً أملت على روسيا وإيران التعامل مع تركيا بهذا الهدوء والليّن أملا في التخفيف من عدائيتها وتعطيل بعض أنشطتها العدوانية وجذبها الى منطقة وسط بينهما وبين أميركا وإدخالها في موقع رمادي منخفض الضرر ولذلك يعملان معها في استانة بمرونة وحذر تحدوهما الرغبة في إبقاء تركيا ضمن مثلث استانة والاتكاء عليها لتجنّب الضغوط الدولية التي تتعرّض لها إيران وروسيا حيث انّ تركيا توفر متنفساً لهما خلال الحرب الاقتصادية والسياسية التي تشنّها أميركا عليهما، إضافة الى رغبتهما أيضاً بالقيام بمحاولة ميدانية أخيرة تهدف الى استعادة إدلب بوسائل أقلّ كلفة دون تحميل القوى المسلحة السورية خسائر إضافية في مسالة قد يكون حلها ممكناً بثمن أقلّ خاصة انّ هناك نوعاً من الطمأنينة للنتائج في عملية التحرير حتى ولو تأخرت بعض الوقت.

اما سورية المعني الأول بتحرير أرضها فأنها لا تجد نفسها مضطرة لإعطاء التركي بطاقة ثقة او ائتمان سياسي او عسكري او استراتيجي لا بل ترى انّ من مصلحتها ان تبقي التركي على قناعة بانّ سورية لا تثق به، فإذا صدقت تركيا هذه المرة مع إيران وروسيا ونفذت ما تقتضيه خطة التحرير خطوة خطوة يكون الأمر جيداً وربحاً لسورية دون ثمن، وان نكلت تركيا على عادتها فإنّ سورية لا تكون خسرت رهاناً، بل تكون استفادت من الوقت لرفع مستوى الجهوز وضمان فرص النجاح بكفة أقلّ من أجل تحرير إدلب عسكرياً. ما يعني انّ اتفاق قمة سوتشي وسياسة الخطوة خطوة هي الفرصة النهائية والأخيرة لتحرير إدلب قبل انطلاق العملية العسكرية الموعودة، ويكون موقف الرئيس الأسد من تركيا بحزمه ووضوحه، بمثابة ربط نزاع وتوفير وقت إضافي لروسيا وإيران في عملهما مع تركيا، دون ان يعطي التركي فرصة الظنّ بأنّ بأمكنة ان يخدع سورية بمناورته.

خارطة التهديدات الإرهابية للعام الجاري: ابحث عن الامريكي

محمد محمود مرتضى

ربط الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أسباب ودوافع انسحاب القوات الامريكية العسكرية من سوريا؛ بهزيمة "داعش"، ففيما رأى خبراء أن "داعش" قد دُحر نهائياً، يرى آخرون أن التنظيمات الإرهابية ستظل حاضرة ومؤثرة على المشهد الدولي لقدرتها على التكيّف، والاختباء في أوقات المحاصرة الأمنية ضدها، وتنتظر اللحظة للعودة مجددًا.

وقد استقبل العالم العام الحالي بعدد من العمليات الإرهابية. ففي الساعات الأولى من ٢٠١٩، سجلت عدة عمليات إرهابية بمناطق متفرقة حول العالم، على رأسها؛ هجوم مدينة "مانشستر" البريطانية، إذ طعن رجل مسلح بسكين ٣ أشخاص، بينهم شرطي بمحطة قطارات "فيكتوريا" بالمدينة، وفي تونس، حيث فجر إرهابيان نفسيهما عقب تبادل لإطلاق النار مع وحدات الشرطة، وفي "برلين" دهس مواطن ألماني أربعة أشخاص باحتفالات رأس السنة الجديدة.

في الواقع لم تؤدِّ هزيمة تنظيم "داعش" في ٢٠١٧، الى انتهاء وجوده، فما زالت ذيوله تنشر في عدة جيوب بسوريا، إضافة لتابعيه في العالم الغربي، وحضوره الافتراضي، الذي يُعهد إليه أهم أسباب صموده حتى الآن، ويمكن أن نطرح سؤالًا يتعلق بأسباب صمود التنظيمات الإرهابية رغم القضاء عليها بمناطقها الجغرافية؟ وما أهم مسارات العمليات الإرهابية المتوقعة للعام الحالي؟

في الواقع ترجع استمرارية التنظيمات الإرهابية لعدة أسباب، أكسبتها القدرة على التكيف مع المحاصرة الأمنية، والتتبع الاستخباراتي لعناصرها، ناهيك عن خلق بدائل للروايات المجتمعية التي تميل للاضطهاد والمظلومية، ومن ضمن أهم الأسباب:

١. تستغل الجماعات الإرهابية الأزمات المجتمعية كفرصة لبناء أفكار عن مثالية خلافتهم المزعومة، لا سيما الأزمات السياسية والمجتمعية، مثل الاضطهاد السياسي، أو التفرقة العنصرية، أو اضطهاد أقلية، إضافة إلى استغلال الدين وتأويلاته لاستقطاب الشباب لما يُعرف بضرورة القضاء على الكفر والجهل في العالم الغربي.

٢ ـ يُعاني العالم من تصدع مفهوم القومية،

نظرًا لموجات العولمة والانصهار بين العالم أجمع، بما ينتج عنها أقليات تنعزل جزئيًا عن الثقافة السائدة في المجتمع.

٣ ـ ارتفاع معدلات البطالة وغلاء المعيشة التي أوجدتها الأزمات الاقتصادية وما نجم عنها من انخفاض معدلات النمو، واتجاه الدول نحو سياسات التقشف الاقتصادي، الى بجانب معدلات العجز التجاري ما بين صادرات وواردات الدول، جميعها عوامل أنتجت تذمراً لدى شريحة واسعة من المجتمع، خاصة قطاع الشباب ومستقبلهم.

أمام هذه المشكلات، يسقط الشباب فريسة لإغراءات الجماعات الإرهابية التي تتحدث عن دولة الخلافة، وتحقيق العدل والمساواة بين البشر، إضافة إلى المبالغ المالية التي تغدقها تلك الجماعات على المقاتلين الأجانب، واستغلال جهل الشباب بأمور الدين، مستغلين التأويلات الدينية للتدليل على أهدافهم المتطرفة.

لقد اتخذ الإرهاب أنماطًا عديدة في العام الحالي لاستعادة نفوذه، ومحاولة إثبات حضوره، ومن تلك الأنماط ما هو الا استمرار لاستراتيجياته السابقة، ومنها ما هو محاولة لاستعادة أراضيه، فيما يتخذ بعضه شكلًا للبحث عن مناطق أخرى تُعدُّ أرضًا حاضنة له. فما هي صورة التهديدات الارهابية المتوقعة للعام الحالي؟

فقد كانت ولا تزال أهم استراتيجية في العمليات الإرهابية لدى تنظيم داعش في الخارج هي استراتيجية الذئاب المنفردة كونها لا تحتاج إلى مجهود كبير من ناحية لوجستية، أو على مستوى التدريب البدني والنفسي، إذ ترتكز على التواصل الإلكتروني، ومن الذئاب المنفردة خرجت معظم ان لم نقل كل العمليات داخل أوروبا في الأعوام السابقة.

ورغم أن "داعش" ما زال يُحارب لأجل معركة البقاء في آخر جيوب له في شرق الفرات، والتي هي تقريبا على وشك الانتهاء، تقوم التنظيمات أخرى بالتوسع في مناطق رخوة أمنيا، أو تمتلك عوامل خصبة للتطرف والإرهاب مثل أفغانستان ومنطقة غرب أفريقيا.

ففي أفغانستان، تُسيطر حركة طالبان على حوالي ٥٠٪ من الأراضي الأفغانية، ورغم تمركز كبير للقوات الأمريكية والقوات الأفغانية، فإن حركة طالبان لها نفوذ كبير، ناهيك عن وجود تنظيم "داعش"، ومنافسته لحركة طالبان. دون ان ننسى ان واشنطن تفاوض حركة طالبان تمهيدا لانسحابها من افغانستان، ومن الواضح ان المفاوضات تتجه لتسليم امريكا البلاد لطالبان. وهذا حراك يصعب فصله عن التصعيد الامريكي ضد ايران، فاذا ما نظرنا الى العملية الارهابية الاخيرة ضد حافلة للحرس الثوري الايراني في اقليم زاهدان الايراني، وتصريحات المسؤولين الايرانيين عن ان المنفذين نقلوا اسلحتهم من خلال الاراضي الباكستانية، فاننا يمكن ان نتصور رابطا بين ما يجري في افغانستان وما يجري من تصعيد ارهابي ضد ايران تقوده السعودية والامارات بحسب مسؤولين ايرانيين. ما يشير الى ان الحدود الايرانية مع كل من باكستان وأفغانستان مقبلة على تصعيدات كبرى لا سيما اذا ما نجحت المفاوضات الامريكية الطالبانية، دون ان ننسى الاندفاعة الكبيرة السعودية تجاه باكستان.

وغرب أفريقيا، يعد مناطق خصبة للتنظيمات الإرهابية؛ حيث الهشاشة الأمنية التي تمتاز بها، إضافة إلى ضعف السيطرة على الحدود فيما بينها، والصراعات العرقية بين القبائل، كل ذلك سيجعلها مرتعًا للتنظيمات الإرهابية على رأسها جماعة بوكو حرام. وفي هذه المنطقة ينبغي مراقبة التحركات التكفيرية والغربية على مربع (مالي ـ النيجر ـ ليبيا ـ تشاد وصولا الى نيجيريا) حيث تقع الجزائر على هذه الحدود، وهي دولة (أي الجزائر) تمتلك من الثروات (نفط وغاز) ما يثير شهية تجار الحروب في العالم، اضافة الى علاقات اقتصادية وتجارية متصاعدة بشكل كبير جداً مع كل من الصين وروسيا، ومواقف متقدمة من بعض القضايا الحساسة في المنطقة، ما قد يجعلها عرضة للاستهدافات الامريكية والغربية.

وفي القرن الأفريقي، تنشط حركة شباب المجاهدين الصومالية، حيث تعاني منطقة القرن من التدخلات الإقليمية وضعف السيطرة الأمنية، الى جانب التناحر الدولي على المنطقة، الذي خلّف مساحات كبيرة من الفراغات الأمنية، تسعى حركة الشباب لاستغلالها.

الخلاصة، فكما ان تفكيك تنظيم "القاعدة" في افغانستان كان مقدمة لتشظي التنظيم في مناطق اخرى، فتضاعفت مخاطره بدل ان تتقلص، فان القضاء على "داعش" في العراق وسوريا (لا سيما في المناطق التي يسيطر عليها الامريكي) قد يؤدي الى تشظي المقاتلين الى مناطق اخرى تسعى الادارة الامريكية للضغط عليها او تفتيتها عبر عمليات نقل ممنهج لعناصر داعش اليها. ولمعرفة اماكن المخاطر الارهابية التكفيرية فان كل ما علينا هو البحث عن الامريكي.

فلسفة المقاومة الغائبة عن الغرب الاستعماري

إيهاب شوقي

هل الحاجة ام الاختراع في السياسة ايضاً؟ وهل لا تنبري القوى والافراد للمقاومة والتحدي والفعل الا تحت وطأة الخطر؟ ام ان هناك قوى ونفوسا لا يكون فعلها مربوطاً بذلك، ولا تكون هممها وعزائمها مجرد رد للفعل؟

في تحليل لافت وهام وربما يعكس رأي قواعد للفكر الغربي ولا يقتصر على صاحبه، يقول مراسل الحرب المخضرم "إيليا ج. ماجنير" في مقال حديث له بعنوان: "لماذا يجب على الغرب وقف تدخلاته"، ان هذه التدخلات الغربية على مرّ السنين في شؤون لبنان لا تترك مجالاً للشك انها جاءت بنتائج عكسية، وكانت إلى حدّ كبير لصالح حزب اللّه وحلفائه في إيران و"محور المقاومة".

وقال: "كان من الأفضل بكثير ترك بلدان الشرق الأوسط تتطور بسرعة خاصة بها واختيار نظام حكمها دون تدخل خارجي. لا يمكن للولايات المتحدة وحلفائها التدخل بنجاح في لبنان أو أي بلد آخر، خاصة في الشرق الأوسط، ما لم يجدوا دعمًا محليًا وإرادة داخلية لاستيعاب واشنطن والسماح لتأثيرها بمصير البلد".

وهو هنا يلمس ما نراه نصف الحقيقة!

والنصف الذي يلمسه الكاتب هنا يتعلق بالتحدي والصمود الذي تبرزه القوى كرد فعل على العدوان، كما يلمس الفراغ الذي ينبغي ان تملأه القوى والحركات بعد طرد قوى وحركات اخرى "منظمة التحرير بعد الغزو الصهيوني كمثال".

ولكن النصف الاخر للحقيقة والذي لم يلمسه الكاتب، هو ان المقاومة ليست مجرد رد فعل، وليست مجرد ملء لفراغ.

ان المقاومة العربية والاسلامية تتميز بخصوصية كبيرة، يمكن ان نوردها بعد المثال التالي:

نظرية ملأ او "سد" الفراغ، بلورتها سياسة امريكية شهيرة، في اعقاب التراجع الاستعماري بنمطه الامبراطوري، وانسحاب القوى الكبرى من مستعمراتها، كي تحافظ على السيطرة عن طريق قوى تابعة ووكلاء في مواجهة قوى التحرر الوطني التي برزت.

ولكن هل برزت قوى التحرر الوطني عقب الانسحاب لمجرد شغل الفراغ، ام انها كانت تقاوم وتعجل بالانسحاب، وكانت سببا في هذا التراجع الامبراطوري.

التاريخ يجيب ان قوى التحرر والمقاومة برزت وطالبت وحاربت وعجلت بانسحاب الاستعمار، وبرزت المقاومة بمجرد حدوث وعي لدى الشعوب بتاريخها وإنسانيتها وحقوقها، فانبرت لتشكيل تنظيماتها ونقاباتها ومارست المقاومة بجميع الاشكال.

وهنا كان الوعي هو العلامة الفارقة.

وخصوصية محور المقاومة هنا هي انه ليس مجتمعا افريقيا عاش ضحية للعبودية مما غيب الوعي عن افراده، ولم يسترد قطاع كبير من الافارقة على سبيل المثال هذا الوعي الا عبر الاشتراك في الحرب العالمية تحت مظلة الاستعمار ليرى الفجوة بين تعامل الاستعمار مع مواطنيه وتعامله مع الافارقة، وكذلك بعد كسر الحاجز النفسي بعد رؤيتهم لجنود الاستعمار يقتلون ويذبحون كما يقتل ويذبح الافريقي على يد هؤلاء الجنود.

ان وعي محور المقاومة وعي سابق لم يغب وبالتالي لم يسترد، فهو وعي حضاري وعقيدي وليس مكتسبا، هو وعي برفض الذلة وبأن حياة في ظل الاستعمار والاستعباد لا خير فيها ولا حرص عليها.

هذا الجانب الحضاري والعقيدي، هو الغائب عن العقلية الاستعمارية، وهو الخطأ القاتل المتكرر الذي يمارسه الغرب، وربما لم تع مراكز الدراسات الاستراتيجية الغربية ومدارس الفكر ماهيته، فتتكرر اخطاء الغرب مرة تلو الاخرى.

وربما ساعد الغرب وتحديدا المشروع الصهيو امريكي، على تكرار الاخطاء، وجود انظمة وقوى سياسية وقطاعات انهزامية ومرتزقة في منطقتنا، فرطوا وما زالوا يقدمون المزيد من التفريط والخيانات، فأعمت حالة الخيانة هذه ابصار الغرب عن حقيقة المقاومة وانها قادرة على كنس هؤلاء وكنس الاستعمار ذاته.

مرة اخرى نجد انفسنا مضطرين للتأكيد ان المقاومة ليست رد فعل وانها مشروع حضاري تنموي، وانها لا تقاوم الفعل العسكري المباشر المتعلق بالغزو والهيمنة فقط، وانما تقاوم كل اشكال الفقر والتخلف والفساد والاستبداد، اي انها مشروع حضاري متكامل وليست رد فعل عسكرياً او قوة سياسية تملأ الفراغات.

ربما ترى بعض العقول الغربية ان انسحابا شكليا سيقود الى بروز التناقضات ويضعف قوى المقاومة، لانه سيبطل حجتها ويفقدها شرعيتها باعتبارها تتغذى على الصراع!

ونقول لهؤلاء، ان المقاومة قوى بناء لا قوى حرب، وان لجوءها للحرب هو أكبر برهان على استعدادها للتضحية ووفائها لبلادها ومجتمعاتها، لأن التحرير هو الخطوة الاولى للبناء، وهذا البناء هو الاصل في فكر المقاومة وتوجهها، وإن المقاومة لا تحمل بذور تناقض مع مجتمعاتها ولا مع الاخرين لانها تبني وتتعاون وتتعايش، وتقاوم فقط عند العدوان وعند وجود اي خطر وتهديد للبناء.